الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

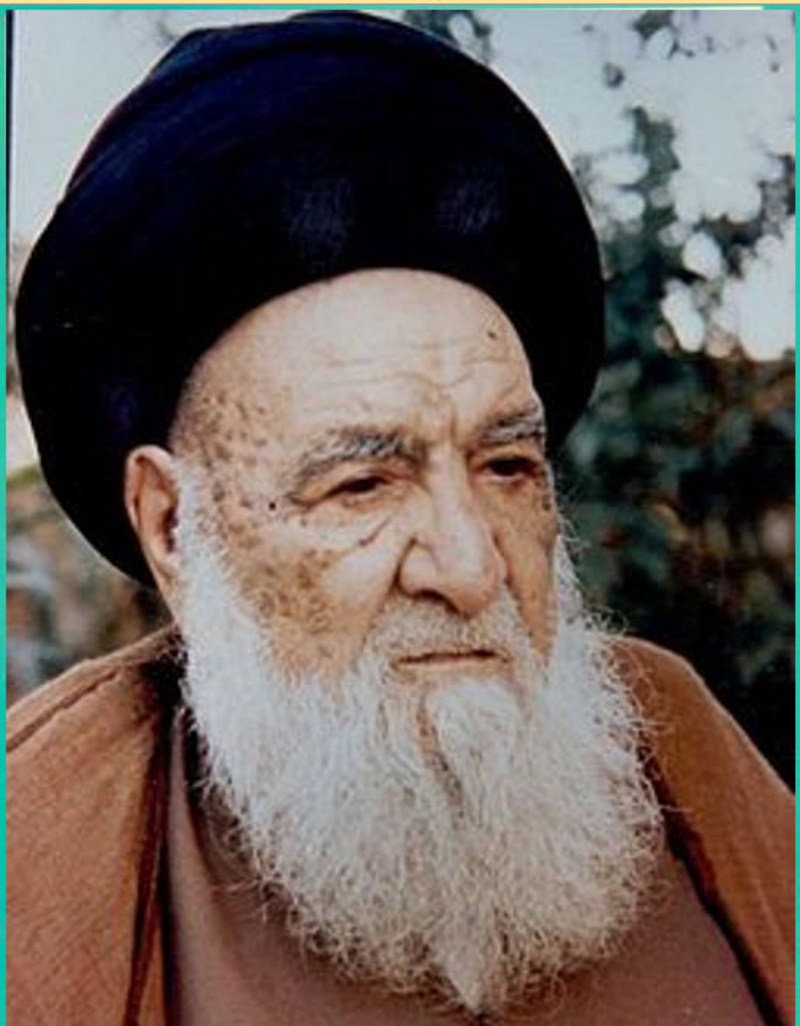

آرشيو مخطوطات
خزانة رخامي دار الحديث
٢١٢٣٠

الإصلاح

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

الخوئي ...
الحلقة الاخيرة من سلسلة المراجع العظام

● عباس العلوي (السويد)

لقد فُجعت امة القرآن برحيل عالم فذ قلما يجود الزمان بأمثاله، ممن اكرمه الله ان يكون وارثاً لعلوم الانبياء والمرسلين، وخازناً لعلوم الاولين والآخرين، وسراجاً منيراً للدين، وسيداً للاعلام والمتفقهين، ومرجعاً أعلى للشيعة اجمعين سليل طه وياسين، الامام الزاهد العابد السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي قدس سره الشريف.

لقد ادمى هذا المصاب الجلل، والخطب الاعظم قلوب المؤمنين من الناس، وابكى عيونها بحرقة، وهي تتلظى بآهات الحسرة، صابرة محتسبة بقضاء الله المبرم في الموت مع ولد آدم. ولكن مازاد من فيض اللوعة والغضب، ان حرم النظام الارهابي في العراق جموع المسلمين من حقها المقدس في تشييع الجثمان الطاهر لهذا الراحل العظيم، الذي صدعت ملائكة السماوات في علومه مادحة بعد ان لهجت السنة اعلام الارض في نبله وافضاله شاكرة . اللهم صبراً على قضائك الموعود وإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان والله ولياً من اوليائه المخلصين، وآية من آياته العظمى في الدين، ومصباحاً من مصابيح اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وينبوعاً للعلم والعرفان، ومعدناً للحكمة وفصل الخطاب. جاهد في الله صابراً ناصحاً مجتهداً محتسباً حتى اتاه اليقين. وقد منّ الله عليه ان يكون للعلم سراجاً وللعلماء استاذاً وللمؤمنين كهفاً وللفقراء عوناً فصار بحق زينة لهذا العصر والزمان، وترجماناً ناطقاً بأحكام القرآن، وبرحيله رحل العلم والبيان، وثلم في الاسلام ثلمة لايسدها شيء ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم.

فجزاك الله بالخير يا أبا جمال عن الدّين واهله افضل الجزاء مادام هناك ليل ونهار.

بداياته الاولى

قدم سماحة الامام (قده) في عام ١٣٣٠ هجرية، وهو في سن الثالثة عشر من عمره إلى النجف الاشرف، مدينة العلم والعلماء، وتتقدمه راية العلم والهدى ويضيء معه نور الفضل والكمال، ومعه الوسيلة لمستقبل عظيم يتشرف به في خدمة أمة القرآن.

بدأ دراسته وهو تلميذ مؤدب بأدب اهل بيت النبوة، كثير التواضع للعلم واهله وذا فطنة ولباقة، حسن الخاطر، حاضر الجواب، قوي الذاكرة، اخذ علمه الاول من ابيه العلامة السيد علي أكبر الخوئي (قدس سره) ومابعد ذلك على يد اساتذة بارعين، استلهم منهم علوم العربية والمنطق والبلاغة والاصول والفقه والحديث والفلسفة والتفسير وغيرها، واما «البحث الخارج» فقد حضر على كوكبة من الشيوخ الافذاذ كانوا اعلام العصر، تشد اليهم الرحال من الاطراف وهم مطمح الانظار ومعقد الآمال من امثال آيات الله العظام: شيخ الشريعة الاصفهاني والشيخ مهدي المازندراني والشيخ ضياء الدين العراقي والشيخ محمد حسين الاصفهاني واخيراً الشيخ محمد حسين

النائيني الذي يُعد الاب الروحي له، حتى بلغ درجة الاجتهاد بتفوق واضح وهو في سن مبكرة، ومع هذه النعمة المباركة نال أيضاً اجازة استاذه النائيني في الرواية عن كتب الامامية الاربعة (الكافي ـ من لايحضره الفقيه ـ التهذيب ـ الاستبصار) والجوامع الاخيرة (الوسائل ـ البحـار ـ الوافي) وغيرها مايرويه عن شيخه النائيني عن شيخه النوري بطرقه المحررة في كتابه (مستدرك الوسائل) المعروفة بـ (مواقع النجوم) المنتهية إلى أهل البيت (ع).

بعد بدايته الاولى هذه والتي باختصاره للزمن وارتقائه بجدارة قمة العلم، انتقل الامام الراحل إلى مرحلتين مهمتين تقاسمت البقية الباقية من حياته وتركت بدورها الاثر الايجابي البليغ على الامة الاسلامية وهما: مرحلة الاستاذية، ومرحلة المرجعية الدينية. وسنتناولها بشيء من الاختصار.

مرحلة الاستاذية

وهذه المرحلة قد اخذت حصة الاسد من حياة الامام الراحل، بعد ان استمرت لاكثر من نصف قرن من الزمن كان خلالها الاستاذ المشار إليه بالبنان في الحوزة العلمية الدينية بالنجف والقطب الذي يدور حوله كل شيء، لقد تعلق الامام بهذه المهنة واعطى كل وقته لها. وقال رضوان الله عليه: «واني احمد الله تعالى على ماانعم عليّ في مواصلة التدريس طيلة هذه السنين الطوال، وما توقفت إلا في الضرورات كالمرض والسفر».

وإلى هذا المجلس العامر شد أهل الفقه والعلم من الرجال وهم قادمين إليه من كل جهة وصوب، كي يرتشفوا من نمير ذلك الاستاذ الموهوب الذي لم يقف عند جهة واحدة من جهات العلم والفكر والادب، بل اتقن منها مااتقن وتحول إلى كنز من كنوز اهل بيت النبوة وغدا باعتراف المعاصرين له من العلماء، علامة فارقة في تاريخ الفقه الامامي إذ استطاع وبعبقريته المعهودة ان يحيي عصر الازدهار العقلي لمدرسة الاجتهاد على عهدي المحقق الحلي ـ القرن السابع الهجري ـ والانصاري ـ اواخر القرن الثالث عشر الهجري ـ.

كانت دواعي النجاح الباهر الذي حققه الامام في مهنة التدريس هو الاسلوب التعليمي المبتكر الذي ادخله في الحوزة دون ان يسبقه في ذلك سابق اخر.

اختار المنهجية ذات المستوى العلمي العال والتي تحاكي العقل والقلب معاً بكل شوق ورغبة، وتعتمد في اساسياتها على اثارة الشكوك الواردة على سياق منهج البحث ومن ثم مناقشتها بطريقة عقلية مجردة كي تأخذ بعدها الحقائق العلمية مكانها الحتمي. ولاشك ان هذه الطريقة كفيلة بأن تجعل من تلميذه المؤهل لاحقاً لنيل درجة الاجتهاد، ان يكون دائم التواصل في البحث والاصغاء والمتابعة في آن واحد ليصبح في نهاية المطاف مؤهلاً تأهيلاً حقيقياً في خدمة الامة وفق المنهج الصحيح لمدرسة آل البيت عليهم السلام.

قال شاهد عصر يؤيد هذا المعنى:

«اما اسلوبه في الجدل والنقاش فهو اسلوب سقراط، يتجاهل ويتظاهر بتسلم قول الطرف المقابل، ثم يعرض عليه الشكوك والتساؤلات، ويتصنع الاستفادة والاسترشاد، شأن الطالب والتلميذ، حتى إذا اجاب المسكين ببراءة وسذاجة انقّض عليه وانتقل به إلى حقائق تلزم اقواله، ولايستطيع التخلص منها، ويوقعه في التناقض من حيث لايشعر، ويحمله قهراً على الاعتراف بالخطأ والجهل» * [الشيخ محمد جواد مغنية في مقدمة كتاب البيان للامام الخوئي ص١٣].

ومن خلال البحث المتواصل للامام واكتسابه الخبرة والمراس في مهنة التدريس تحول إلى مجدد تفوق على نظرائه من الاولين والآخرين في بعض العلوم الاساسية وهذا بالطبع «فضل الله يؤتيه من يشاء» منها على سبيل الايجاز:

١ ـ علم الاصول:

كان خير من يمثل مدرسة استاذه النائيني، ثم اصبح متمماً لها وبعدها تحول إلى استاذ مجدد، وقد حلّق في اجواء هذا العلم بعد ان اعطاه بعداً دراسياً واسعاً تشهد عليه آثاره العلمية وتقارير تلامذته اللامعين، ولامجادلة انه بلغ مبلغ الجبال الشاهقة في هذا العلم.

٢ ـ علم الرجال:

وضع له قواعد علمية ومتطورة كما اهتم به على شكل اساسي وبصماته في ذلك واضحة في موسوعته التي يفتخر بها هذا القرن والموسومة (معجم رجال الحديث). وعلى الاخص بعد ان عانى هذا العلم المهم من التراجع الملحوظ بعد زمن ـ الرجالين الاربعة ـ بسبب هجرة العلماء الكبار له بحجة انه علم ثانوي.

٣ ـ علم الفقه :

بعد ان ضرب بسهمه الوافر في هذا العلم وطرق فيه كافة مجالات الحياة قديماً وحديثاً، اخذ يهتم به بدرجة كبيرة في التدريس والتحقيق والتأليف وقد اثر بدوره على تلامذته الذين كتبوا تقاريره الفقهية وصدرت منها مجموعات قيمة على شكل مجلدات اهمها:

ـ تنقيح العروة الوثقى ـ دروس في فقه الشيعة ـ مستند العروة ـ فقه العترة ـ مصباح الفقاهة ـ محاضرات في الفقه الجعفري وعشرات غيرها ملأت المكتبة الاسلامية.

٤ ـ علم التفسير:

من خلال ممارسته لتدريس «تفسير القرآن» في الحوزة حاول تطوير هذا العلم على نحو مبتكر ومغاير تماماً للنهج الذي ذهب إليه السلف من المفسرين والعلماء.

ونظريته في ذلك تتلخص في: تفسير القرآن بالقرآن واستنطاق الآية القرانية بنفسها دون الدخول بمجالات هامشية او اجتهادية قد تفرغ النص القراني من محتواه العلمي الصحيح. وقد اوضح لنا رضوان الله عليه في مقدمة كتابه (البيان في تفسير القرآن) شيئاً من منهجيته الجديدة في هذا المضمار. قال:

«على المفسر ان يجري مع الآية حيث تجري، ويكشف معناها حيث تشير، ويوضح دلالتها حيث تدل، عليه ان يكون حكيماً حين تشتمل الآية على الحكمة، وخلقياً حين ترشد الآية إلى الاخلاق، وفقيهاً حين تتعرض للفقه، واجتماعياً حين تبحث في الاجتماع، وشيئاً آخر حين تنظر في اشياء أخرى.

على المفسر ان يوضح الفن الذي يظهر في الآية، والادب الذي يتجلى بلفظها، عليه ان يحرر دائرة لمعارف القرآن إذا اراد ان يكون مفسراً. والحق اني لم اجد من تكفل بجميع ذلك من المفسرين».

٥ ـ اخيراً يعتبر الامام الراحل صاحب أكبر مدرسة عقلية خرجت مجموعة كبيرة من الفقهاء والمجتهدين لايعلم بعددها إلا الله تعالى، واستمرت لاكثر من نصف قرن من الزمن، وما اجتمعت هذه النعمة الربانية لاحد غيره من العلماء عبر التاريخ الامامي على الإطلاق.

وكتحصيل حاصل لهذه المدرسة العملاقة فقد تأثر تلامذتها بأفكار وبحوث استاذهم الموهوب في الفقه والاصول والعلوم الاخرى، حتى بلغ من الامر أن تجد الآن اكثر من ٧٠٪ من علماء الشيعة المنتشرين في كل بقاع الارض هم من تلامذته او تلاميذ تلامذته او تلاميذهم، ومن طليعة هؤلاء العلماء اللامعين الشهيد الصدر رضوان الله عليه والمرحوم محمد جواد مغنية والسيد محمد حسين فضل الله ومحمد سرور واعظ والسيد علي السيستاني وغيرهم الآخرين الذين يدينون بالفضل والعرفان إليه.

قال المرحوم مغنية وهو يسبغ آيات الثناء على استاذ العلماء:

«انه كالشمس ترسل اشعتها في كل مكان وزمان، انه استاذي، واستاذ العلماء في النجف الاشرف والقطب الذي تدور حوله الحركة العلمية وتدين له الحوزة بالشكر والولاء، وعرفان الجميل جزاء الصغرى من اياديه،

ولولا وجوده ووجود القلة من أهل التحقيق والتدقيق لاخذ العهد الذهبي للنجف بالافول (لاسمح الله) والآن هل عرفته؟ انه السيد الخوئي ذلك الاسم الكبير».

مرحلة المرجعية العليا

بدأ هذا الدور الصعب في حياة الامام الراحل في بداية السبعينات الميلادية على اثر وفاة الامام الراحل السيد الحكيم قدس سره واستمر لغاية يوم وفاته في يوم ٨ صفر ١٤١٣ ، ١٩٩٢/٨/٨ .

كان قدره الموعود ان يتسلم قيادة المرجعية الدينية وبلاد المسلمين تعيش في ظل الارهاب والحروب والتمزق.

ففي العراق تمكن حزب البعث المعروف بسياسته الدموية من الوصول إلى السلطة.

وفي إيران تفجر بركان الشعب الايراني ليطيح بنظام الشاه تحت قيادة الامام الراحل الخميني، ومن ثم دخل الجاران في حرب طاحنة استمرت لسنوات طويلة كما هو معروف.

وفي لبنان وافغانستان شهدتا حرباً اهلية طائفية اكلت فيها الاخضر واليابس معاً.

مع هذه الاحداث العاصفة التي تخللت ايام زعامته، برزت لنا عبقرية الامام في كونه آية من آيات الصبر والحكمة، إذ انتهج طريقاً صائباً يتلاءم مع قسوة الظرف الذي يعيشه والطوق الحديدي المفروض عليه من قبل طاغية العراق. وقد تبلور هذا النهج الحكيم في انه حافظ على استقلالية الحوزة الدينية من الصراعات السياسية الكبرى ذات النتائج المجهولة.

لقد سجل التاريخ نقاط ضوء لحسابه، وهي بلا شك تعتبر مؤشراً دالاً على نجاحه في قيادة المرجعية في اصعب وقت من اوقاتها، ولك ان ترى الانتشار الواسع لرقعة مقلديه في صفوف العرب وغير العرب في كل مكان يتواجد فيه المسلمون الشيعة وحتى في إيران في عهد الامام الراحل آية الله الخميني، على نحو لم يحصل عليه مرجع آخر قبله طيلة التاريخ الاسلامي.

وفي راينا ان اسباب هذا النجاح تكمن فيما يلي:

١ ـ لقد حاز رضوان الله عليه على نصيب كبير من الثراء العلمي والفكري، ولاجدال في انه اصبح فريد عصره بذلك.

٢ ـ احرز رصيداً ضخماً من المحبة والاحترام من قبل تلامذته خلال التدريس والتي وصف ايامها بأنه استاذ للعلماء. ومن كبراء مدرسي الحوزة العلمية ودواعي الوفاء جعلت كثيراً من تلامذته ان يكتبوا التقارير والدراسات العلمية في محاضراته (في الفقه والاصول) لتطبع بعدها وبأذن منه في مجلدات واسعة وتصبح في متناول ايدي العامة والمتخصصين.

٣ ـ الانتشار الواسع لتلامذته او تلاميذ تلامذته في كافة الاقطار الاسلامية.

٤ ـ كثرة المصنفات التي ألفها وحققها الامام الراحل بنفسه، وكان في قسم منها كما ذكرنا مجدداً لبعض من العلوم الاسلامية الاساسية ، والمجددون لهم دائماً مكانة خاصة في التاريخ .

٥ ـ فتاواه الفقهية في الشريعة تعتبر بشكل عام سلسلة وغير معقدة وسرعان مالاقت قبولاً وتفاعلاً من قبل المقلدين لانها كانت مسايرة لمتطلبات العصر. كما برهن الامام من خلال حياته كلها انه رجل فتوى لايضارعه في ذلك احد.

٦ ـ الجهاز الاداري المنفذ لاوامره وتعليماته (كان والحق يقال) جهازاً نشطاً دائب العمل، استطاع وبكل كفاءة علمية وإدارية ان يتحرك في عموم كل القارات موظفاً نفسه لخدمة المسلمين بشكل عام وابناء الطائفة على نحو خاص، كان يقيم لهم المؤسسات الخيرية والمجمعات الاسلامية الحديثة من مساجد ومدارس ومستوصفات ودور ايتام ودور نشر ومكتبات وغيرها، ولعل مؤسسة الامام الخوئي الخيرية التي تتخذ من لندن مقراً لها تمثل

تتويجاً لهذه الاعمال والنشاطات حيث كان لها الدور الرئيسي في ذلك.

ومع كل هذا النجاح عاش الامام فترة قاسية من حياته، بدأت في مطلع الثمانينات الميلادية واستمرت لغاية يوم وفاته. ففي هذه المرحلة المشؤومة كُتب عليه قسراً ان يعيش حياة اشبه ماتكون بحياة جده الحسن المجتبى عليه السلام سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ولاجدال في انه عانى ماعانى من ارهاب طاغية العراق وهو واقف امامه صابراً محتسباً بينما النائبات تزداد عليه يوماً بعد آخر، فمرة يُساق فيها نخبة من خلصاء ابنائه وتلامذته ومريديه إلى الموت صبراً وهو حسير لايعلم بغضبه إلا الله، واخرى تنتهك امام ناظريه حرمات الحوزة العلمية الدينية في النجف الاشرف بأبشع صورها بعدما شهدت عصرها الذهبي على يديه، وثالثة يطلب منه ان يدفع ثمن الحرب الظالمة التي شنها صدام على إيران بأن يصدر فتوى لصالح نظامه، لكنه يرفض وبأباء قلما تجد له نظيراً في التأريخ.

ومع هذا الموقف العظيم الذي سبحت له ملائكة السماء اجلالاً، تطرق اسماعه شائعات مسمومة من منافقي اهل الارض محاولة في الانتقاص من شخصه وقدسيته، ورابعة يحرق النظام قلبه بقتل فلذة كبده الشهيد الصدر وهو مفوض امره إلى الله ورابض لايتزعزع، وأخيراً ليس آخراً لاينسى كل واحد منا ذلك الاعتداء الصارخ الذي تعرض له من قبل النظام الارهابي يوم ان حطت طائرة الهليكوبتر ابان الانتفاضة الشعبية في مقر اقامته لتقتاده اسيراً إلى قصر الطاغية في بغداد وهو سقيم البدن كي تُشهر به عن طريق اجهزة الاعلام، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

ومع رحيله عن هذه الدنيا الفانية سوف يشهد له التاريخ بحق انه كان الحلقة الاخيرة من سلسلة المراجع العظام.

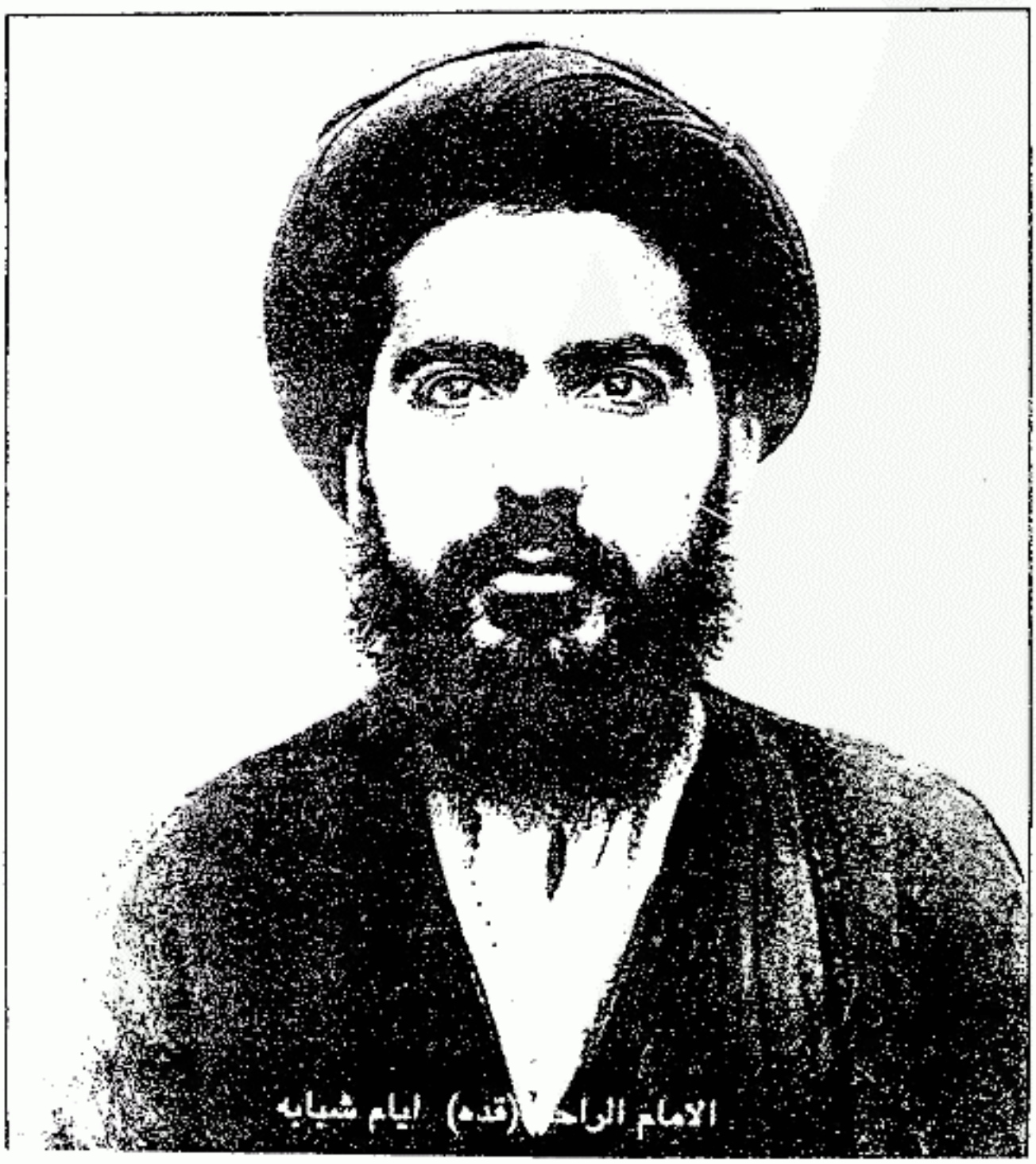

الامام الراحل (قدس سره) ايام شبابه

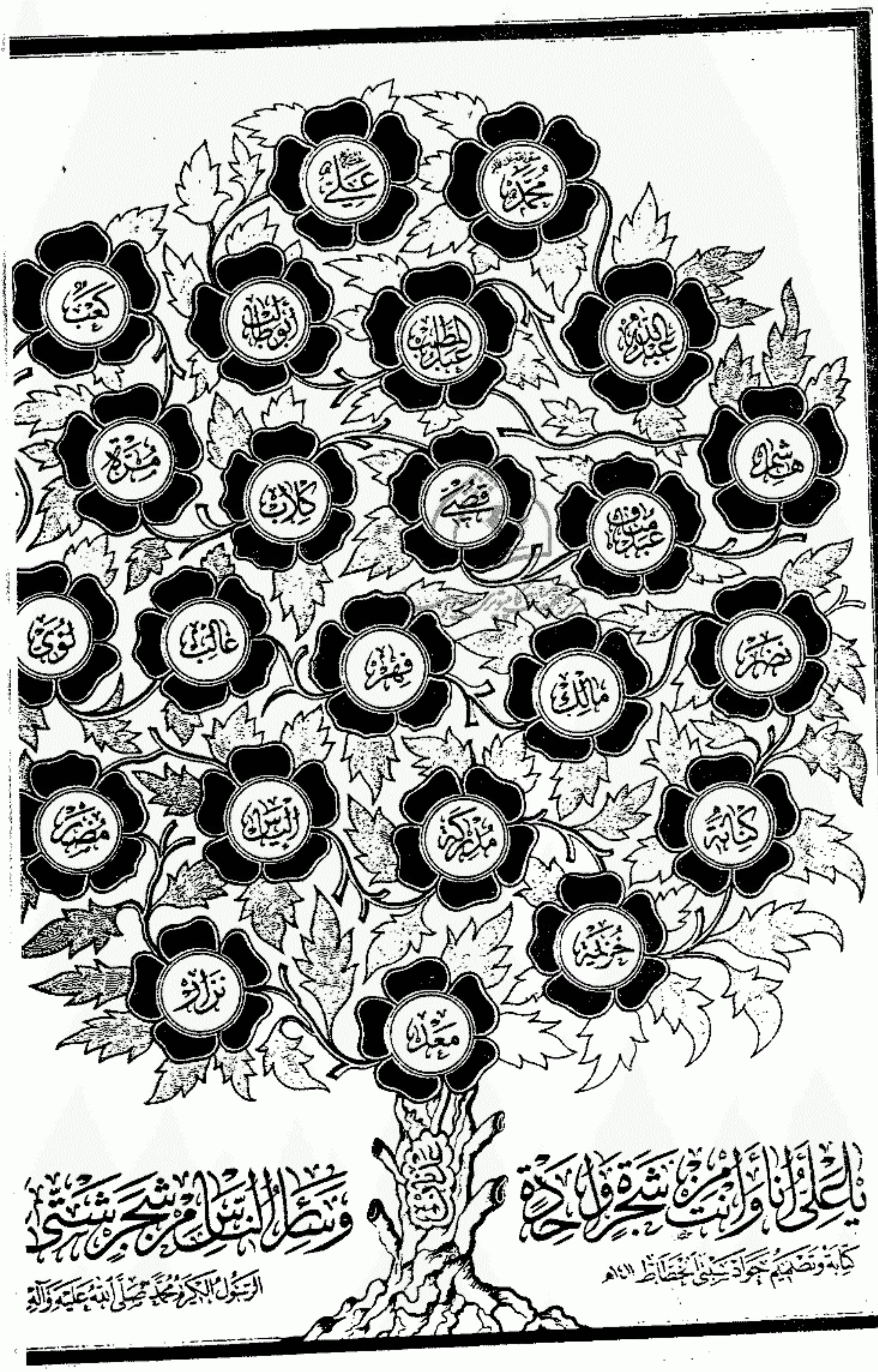
محمد
علي
عبد الله
عبد المطلب
أبو طالب
كعب
هاشم
عبد مناف
قصي
كلاب
مرة
نضر
مالك
فهر
غالب
لؤي
كنانة
مدركة
الياس
مضر
خزيمة
نزار
معد
يا علي أنا وأنت من شجرة واحدة
وسائر الناس من شجر شتى
كتابة وتصميم جواد كبتي الخطاط الاهوار
الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله